

البعض

حبوب المعرفة ! ..

تمتاز الشعوب القوية بقدرتها على التطور والتكيف لمتنوع المدينيات المتعاقبة ، وقد يجد أحد الشعوب نفسه في فترة من فترات تاريخه في مؤخرة الأمم من سلم الحضارة ، فيجمع قواه ليقفز فترة قوية تصل به إلى مصاف الأمم المتقدمة ، وربما برزها نتيجة لوثيقته القوية . . وتتجلى حيوية الشعب في الخطط المحكمة التي يضعها في بدء نهضته . وهو ينظر في هذه الخطط إلى أنها قبل كل شيء تقود إلى الهدف الأسمى الذي يرمى إليه ، بصرف النظر عن مدى الجهود التي تبذل ومدى الزمن الذي تستغرقه . والخطط التعليمية هي الأسس التي تبنى عليها النهضة لأن شعباً جاهلاً لا يستطيع أن يبارى الشعوب في ميدان الحياة . ولذا نجد أن الشعوب المتعلمة سرعان ما تسترد مكانتها عندما تنزل بها كارثة اقتصادية أو سياسية أو حرية .

والتعليم الصحيح يختلف عن كثير من شئون الحياة المادية الأخرى التي تظهر نتائجها عاجلة واضحة ، فعندما توضع الخطط التعليمية ويبدأ في تطبيقها على شعب مبتدى فإن نجاح هذه الخطط لا يكون ملموساً إلا بعد سنين ، قد يرم الفرد من طولها ، ولكن أعمار الشعوب لا تقاس بأعمار الأفراد ، ولقد سلخت الأمم المتقدمة سنين طويلاً قبل أن تصل إلى ما وصلت إليه من زعامة علمية ، ونحن لا يكفينا لكي نلحق بها أن نسير بخطوات وثيدة ، بل لا بد من بذل أقصى الجهد ، وهذا يستدعي التضحية بكثير من نفائس الحياة ، ويجب ألا يكون المال مما يضمن به في هذه الأحوال .

إننا مازلنا في أول الطريق ، وعلينا أن نتحمل الكثير من المكاره ، ونوطد النفس على الصبر الجميل قبل أن نحظى بالنتائج المرجوة في تربية نشئنا تربية تسير العصر الحديث . وما دامت الأئمة قد وطدت العزم على أن تتعلم فإنها يجب أن تدرك أن العلم ليس كحبوب الطيب يتنامها المرء في سر فيغدو صحيحاً معافى ، بل لا بد من أناة المجد ، وعزم القوى ، واليد الماهرة التي تحكم التسديد وتصل بالركب إلى الغاية . وثقافة الشعب تقاس بغورها البعيد ، فعلياً أن لا نقنع من التعليم بقشوره ، ولقد تكون شجرة التعليم العميق الصحيح بطيئة النمو ، ولكنها حينما تورق وتزدهر فإن عواصف الحياة لا تستطيع أن تقتلع جذورها القوية ، إننا لا نريد تلك الخضرة الزاهية المنظر التي سرعان ما تجف ثم تذورها الرياح عند أول تجربة من تجارب الحياة القاسية .

إن كل يوم يمر من حياة الشعب الحاضرة ، يقدر بأعوام طوال من مستقبله ، وكل درهم يبذل الآن لتعليم الشعب فإنه يغدو حجراً قوياً في أساس بنيانه .

عبد العزيز حسين